والعزلة مع إحساس ملازم بوجود ما يدفع قدمًا نحو جحيم تفغر فاهًا. كان الشعر «محاولة لمد الجذور في أرض المستقبل الجهنمية».

حين وظف حجازي تشكيلات موسيقية أكثر مرونة وقواف أقل صرامة، مع أسلوب أكثر نثرية مما كان شائعًا في الشعر العربي في الأربعينيات، فإن ذلك كله كان جزءًا من محاولته التصالح مع واقع جديد. فلم يكن في التوجهين الرومانسي والاتباعي، اللذين هيمنا على الشعر العربي في النصف الأول من هذا القرن، لغة طيعة بما يكفي لاستيعاب تجربة شاعر يضع أقدامه في القاهرة في عام ١٩٥٥ لأول مرة. كانت هناك حاجة إلى ماهو جديد وأصيل، حاجة لم يطل الوقت على حجازي، كغيره من قادة حركة الحداثة الشعرية في بداياتها، أن وجدها في النماذج الغربية. يقول جبرا إبراهيم جبرا واصفًا تلك المرحلة :

كأن سدًا قد انفجر ليتدفق كل غامض من الفكر والرؤية ويغمر
المكان. التأثيرات من الشرق والغرب، من مايكوفسكي وإليوت،
اقتحمت أذهان الشبان الذين استسلموا للومضات المعارضة
دونما خجل، وذلك في محاولة للتكيف مع تجاربهم.(٣)

في القاهرة قرأ الشاب حجازي شعرًا عربيًا يأسى لحب فاشل ويحن بلا تعب إلى وجود أثيري وجمال مستحيل، شعرًا رومانسيًا صار من الضروري تركه في الخلف والانتقال عنه. وهذا الانتقال هو ماتصفه القصيدة الأولى من مجموعة «مدينة بلا قلب»، كما يُشير إلى ذلك الناقد رجاء النقاش في مقدمته الشهيرة للمجموعة، وذلك على شكل انتقال رمزي من سن السادسة عشرة إلى سن التاسعة عشرة حيث يصل الشاعر وأصدقاؤه إلى وعي أكثر حدة بتغير الزمن:

أصدقائي

---

(٣) جبرا إ. جبرا . "المتمردون، والملتزمون ، وغيرهم : انتقالات في الشعر العربي المعاصر" (باللغة الإنجليزية) في .

Critical Perspectives on Modern Arabic Literature, Issa J. Boullata, ed., (Washington: D. C. : Three Continents, 1980).